ورقة سياسية

النفوذ الأمريكي في غرب آسيا

تأثيرات طوفان الأقصى

الكاتب: د. غسان ملحم

المصدر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

تاريخ الإصدار: 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023

النفوذ الأمريكي في غرب آسيا

تأثيرات طوفان الأقصى

د. غسان ملحم

تتضمن هذه الورقة التي تم إعدادها العناوين الفرعية التي تتبع أسفله مباشرة:

أولاً: استشراف مستقبل ومصير المسارات السابقة للسياسة الأمريكية في المنطقة قبل الحرب

ثانيًا: تأثير الحرب على شبكة المصالح الأمريكية ومنظومة العلاقات الأمريكية في المنطقة

ثالثًا: تقدير ماهية وطبيعة ومقدار الانخراط من قبل الأمريكيين في المنطقة بعد الحرب

رابعًا: التموضع الأمريكي الجديد في المنطقة وتوزيع الأعباء بين شرق أوروبا وشرق آسيا

خامسًا: أثر الحرب على المناخ السياسي والمزاج الشعبي لدى الرأي العام في المنطقة

سادسًا: تقدير التهديدات أو المخاطر المتوقعة بالنسبة للأمريكيين في حال فشل الحرب

سابعًا: تقدير المترتبات المتأتية من التهديدات أو المخاطر المتوقعة بالنسبة للأمريكيين

ثامنًا: ترتيب الأولويات بحسب الاحتياجات بالنسبة للأمريكيين في المنطقة بعد الحرب

تتناول هذه الورقة السياسية مسألة الحضور الأمريكي في منطقة غرب آسيا بعد الحرب الراهنة، في إشارة إلى الحرب الإسرائيلية في فلسطين المحتلة، أو لنقل الحرب الأمريكية - الإسرائيلية على الفلسطينيين شعبًا ومقاومة، بعد عملية طوفان الأقصى للمقاومة الفلسطينية. والمقصود بالحضور الأمريكي، وفق المقاربة المزدوجة وثنائية الأبعاد، المكانة الأمريكية الإقليمية التي تحتلها وتحتفظ بها واشنطن في المنطقة أولًا، والدور الأمريكي الإقليمي الذي يمكن واشنطن أن تضطلع به في المنطقة ثانيًا.

وعليه، فإن السؤال المطروح هنا، في محاولة للرد والإجابة عليه في هذه الورقة السياسية، هو على النحو التالي: ما هو تأثير هذه الحرب على الحضور الأمريكي في المنطقة سابقًا وراهنًا ولاحقًا، على اختلاف أشكاله (الهيبة أو الصورة المعنوية، النفوذ السياسي، الوجود العسكري المباشر والتدخل العسكري، المصالح الإستراتيجية والمصالح الإقتصادية والتجارية...) بميزان التقدير الإستراتيجي؟

أولاً: استشراف مستقبل ومصير المسارات السابقة للسياسة الأمريكية في المنطقة قبل الحرب

بعد تراجع فرص وحظوظ الرهان على مشروع صفقة القرن واتفاقيات أبراهام، في إشارة إلى الدفعة الثالثة والجيل الثالث من التطبيع بين العرب و"إسرائيل"، على طريق تصفية القضية الفلسطينية، وبالتالي انحسار الإمكانية الفعلية

والعملية، أو الإحتمالية النظرية والمبدئية بالحد الأدنى، للمضي في هذا المسار التاريخي من معاهدات السلام بين العرب و"إسرائيل"، إلى حد السقوط، أو لنقل التعثر والتعذر إلى حد الإنكفاء، بل الإنتفاء، كخيار سياسي واستراتيجي بالنسبة للأمريكيين، كما الإسرائيليين، يمكن الإدلاء بالملاحظة العلمية التالية، من زاوية المراقبة العلمية، ومفادها ومؤداها أن الأميركيين، ومعهم الإسرائيليين، قد يلجؤون ويركنون إلى تعليق أو تجميد هذا المسار قيد التطبيق والتنفيذ قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، أي المسار السابق لاتفاقيات التعاون العسكري والأمني واتفاقيات التعاون الإقتصادي والتجاري، والذي يقع في خانة الرهان المتكرر، أو الرهان المستمر والمتواصل، من جانب الأمريكيين والإسرائيليين، على الدفع باتجاه التعاون الإستراتيجي من ضمن رؤية الشراكة الإستراتيجية في المنطقة، عطفًا على الدفعتين الأولى والثانية وربطًا بالجيلين الأول والثاني من التطبيع بين العرب و"إسرائيل"، وهو الأمر الذي كان قد قارب ولامس حيز الدخول في خانة تشكيل أو إعادة تشكيل منظومة إقليمية جديدة وإحداث أو استحداث سلسلة ترتيبات إقليمية جديدة، مركبة ومعقدة ومتعددة الجوانب والمضامين والأبعاد، حيث بقيت الخطوة الأخيرة، وهي خطوة التطبيع العلني مع المملكة العربية السعودية، أو بالأحرى الإعلان عن التطبيع الرسمي معها، بعد انكشاف التطبيع الضمني، أو التطبيع المبطن والمقنع، بين "إسرائيل" والمملكة العربية السعودية، دون أن يعني ذلك بالتبعية على الإطلاق إلغاء أو إبطال هذا المسار البانورامي على وجه العموم وهذه الخطوة المركزية والمحورية على وجه الخصوص، بالنظر إلى رمزية المملكة العربية السعودية من حيث موقعها ومكانتها وحجمها ووزنها ودورها في المنطقة العربية والإسلامية وبين دول وبلدان المجموعة العربية، ولا سيما دول وبلدان منطقة الخليج العربي، وإنما التريث بانتظار إنجاز هذه العملية، ولو بعد حين، وتظهيرها بطريقة أو بأخرى لاحقًا وتباعًا، على طريق استئناف واستكمال المسار المشار إليه سابقًا أعلاه، أقله من زاوية وبميزان الحسابات والتقديرات الأمريكية والإسرائيلية، بصرف النظر عن ماهية التوجه وطبيعة الموقف، ومن خلفهما حقيقة النية والإرادة، لناحية مدى الإستعداد والجهوزية والتجاوب من جانب السعوديين في المقابل، وربما بقية العرب والمسلمين المستهدفين من قبل الأمريكيين والإسرائيليين بطبيعة الحال.

ثانيًا: تأثير الحرب على شبكة المصالح الأمريكية ومنظومة العلاقات الأمريكية في المنطقة

إن كيفية تأثر الحضور الأمريكي في المنطقة بهذه الحرب، ولا سيما النفوذ الأمريكي بالدرجة الأولى، أكثر منه المكانة أو المنزلة الأمريكية بالدرجة الثانية، يحيلنا على تأثير هذه الحرب على كل من شبكة المصالح الأمريكية ومنظومة العلاقات الأمريكية في المنطقة. أولًا، بالنسبة للفاعلين واللاعبين الدوليين والإقليميين، المنافسين والمناوئين والمناهضين للأمريكيين، يمكننا الدفع هنا بما يلي أدناه مباشرة، حيث أن القوى الدولية والإقليمية، المنافسة والمناوئة والمناهضة للأمريكيين، وفي طليعتها ومقدمتها كل من الروس والصينيين، قد تمكنت من تسجيل عدد من النقاط أو الأهداف من قبل موسكو وبكين في مرمى واشنطن وعلى حسابها، في ميدان الدبلوماسية، كما في ميدان الإستراتيجية، وكذلك بميزان الربح والخسارة المركب والمعقد، وعلى صعيد نمط توزيع القوة المركبة والمعقدة أيضًا على الساحة الإقليمية، ببعديها أو مستوييها العالمي والإقليمي، لجهة كيفية التموضع والإصطفاف إبان هذه الحرب وفي غمارها وحيال هذه القضية وبعدها، مع الإشارة إلى ما قد ينجم عن كل ذلك، وما قد يترتب عليه، راهنًا ولاحقًا أيضًا، من مواقف وحسابات وتقديرات وتحالفات تباعًا. ثانيًا، بالنسبة للفاعلين واللاعبين الدوليين والإقليميين من الحلفاء والأصدقاء للأمريكيين، لا بد من تدوين الملاحظة التي تلي أدناه مباشرة، عند هذا الموضع أو المقام بالتحديد، ذلك أن النفوذ

الأمريكي الإقليمي أخذ يترنح، أو لنقل بالحد الأدنى إن الصورة الأمريكية الإقليمية - العالمية تهتز أكثر فأكثر، تحت وطأة سلسلة الضربات التي يسددها مؤخرًا وحاليًّا محور المقاومة على امتداد المنطقة للأهداف والمصالح والمراكز والقواعد الأمريكية على مرأى ومسمع من الحلفاء والأصدقاء للأمريكيين. ثالثًا، بالنسبة للفاعلين واللاعبين الدوليين والإقليميين من الأخصام والأعداء للأمريكيين، على اختلاف تسمياتهم وتصنيفاتهم (الدول، الأنظمة، الحكومات، الجيوش، الأحزاب، التيارات، المنظمات، حركات المقاومة...)، يمكننا القول، من زاوية المراقبة العلمية، كما بميزان التقدير الإستراتيجي، بأن مسار الصراع والمواجهة مع ما بات يُصطلح على تسميته وتصنيفه بمحور المقاومة في المنطقة، هو، بالنسبة للأمريكيين والإسرائيليين، ومن وجهة نظرهم، في مرحلة عالية ومتقدمة من حيث مقدار ودرجة الأهمية والخطورة والسخونة، بعيدة المدى، وربما أيضًا طويلة الأمد، وأفقها مفتوح على احتمالات عدة، هي سيئة للغاية.

ثالثًا: تقدير ماهية وطبيعة ومقدار الإنخراط من قبل الأمريكيين في المنطقة بعد الحرب

تعيد هذه الحرب خلط الأوراق الإقليمية من جديد، وذلك بخلاف الرغبات والتطلعات والحسابات والتقديرات والتوقعات الأمريكية السابقة عشية 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023. وعليه، ستجد الولايات المتحدة الأمريكية نفسها معنية بالإنخراط أكثر في متابعة وإدارة الشؤون والقضايا والملفات الإقليمية، وهي التي كانت تتجه في الماضي القريب غير البعيد لإعادة التموضع الإستراتيجي في منطقة غرب آسيا، مع التركيز أكثر بكثير على منطقتي أوراسيا وجنوب شرقي آسيا، من دون أن يعني ذلك على الإطلاق أنها كانت بصدد أو بوارد الإنكفاء الشامل والإنسحاب الكامل من منطقة الشرق الأوسط إلى غير رجعة، وإنما إيجاد وإحداث سلسلة ترتيبات سياسية واقتصادية وأمنية واستراتيجية تضمن وتكفل لها مصالحها أو ما تبقى من مصالحها هنا. ولذلك، من الطبيعي، بل من البديهي، أنها سوف تعمد في المستقبل وفي المرحلة اللاحقة، وفق مقاربتنا وتقديرنا بطبيعة الحال، إلى إعادة ترتيب أمورها بطريقة مختلفة وبصورة مغايرة، وإلى اتخاذ قرار لا بد منه بانتهاج واعتماد المزيد من الإنخراط أو الإنغماس المباشر وغير المباشر في المنطقة، بالمقارنة مع المرحلة السابقة والأخيرة، سواء كان الإنخراط السياسي على خط الحلفاء والأصدقاء أولًا، بما فيه عدم استبعاد فكرة ممارسة مقدار ما من الضغط السياسي والدبلوماسي والمعنوي، وربما اللجوء إلى أسلوب التهديد حتى، في مقابل القوى الحليفة والصديقة، التي قد تبدي عاجلًا أم آجلًا شكلًا من أشكال أو وجهًا من أوجه التراجع الطارئ، أو لنقل "التخاذل" أو "التقاعس" المستجد، من زاوية وجهة النظر الأمريكية، حيال المسارات والتصورات والمخططات والمشاريع والتموضعات والإصطفافات الأمريكية والإسرائيلية السابقة، قياسًا على وتيرة الإندفاعة السابقة وجرعاتها واحتمالية الفتور اللاحق، أو كان الإنخراط العسكري على خط الأخصام والأعداء ثانيًا، بما فيه كل من الضغط المالي والإقتصادي والتجاري والضغط النفسي والمعنوي والأمني، من مثل المحاصرة والمقاطعة (العقوبات الإقتصادية) والتصفية السياسية أو الجسدية (الإغتيالات الأمنية) والعقاب الجماعي، وفرضية تعزيز الوجود العسكري المباشر، وليس بالضرورة فرضية التدخل العسكري المباشر، ذلك أن الخيار الأخير يبقى محفوفًا بالكثير من المخاطر والمحاذير غير المتوقعة في حال اتخاذ إجراءات وتدابير وخطوات غير مدروسة وغير محسوبة؛ بيد أن واشنطن ملزمة في نهاية المطاف بأن تبقى متعهدة وملتزمة بما يعنيها، وبما يهمها، وبما تبقى لديها هنا، إذ أن الخيار البديل أو الرديف والإحتمال المعاكس أو المقابل معه يعنيان خسارة كل شيء أو أي شيء!

رابعًا: التموضع الأمريكي الجديد في المنطقة وتوزيع الأعباء بين شرق أوروبا وشرق آسيا

تبقى الأولوية المطلقة بالنسبة لواشنطن ومن وجهة النظر الأمريكية في المواجهة الحتمية مع كل من موسكو وبكين في منطقتي شرق أوروبا وشرق آسيا تباعًا، حيث المواجهة غير المباشرة بين الأمريكيين والروس في منطقة شرق أوروبا هي الأكثر سخونة في بعدها العسكري - الأمني، بينما المواجهة غير المباشرة بين الأمريكيين والصينيين في منطقة شرق آسيا هي الأكثر خطورة في بعدها الإستراتيجي. وعليه، فإن العبء الإضافي، بل العبء المضاعف، على عاتق الأمريكيين في منطقة غرب آسيا، إبان الحرب الراهنة وبعدها، قد يؤدي بالتبعية إلى تقويض القدرة لدى الأمريكيين على الحسم العسكري - الأمني في منطقة شرق أوروبا أولًا، وهو في الأساس احتمال صعب المنال واحتمال مستبعد من الناحيتين النظرية والعملية أو العملانية، وكذلك قد يؤدي بالتوازي إلى تقويض القدرة لدى الأمريكيين أيضًا على الإحتواء الإستراتيجي في منطقة شرق آسيا ثانيًا، وبالتالي الحد من هاتين القدرتين، بمعنى تراجع وانحسار كل منهما، وليس فقدان أي منهما على الإطلاق بطبيعة الحال. وفي المقابل، فإن استمرار الوضع الراهن (Statuquo) من الإستنزاف المستمر والمتواصل للجميع من قبل الجميع، في إشارة إلى الأوروبيين والروس والأمريكيين، في منطقة شرق أوروبا والوضع الراهن (Statuquo) من الإستنفار المتقابل والمتبادل بين واشنطن وبكين في منطقة شرق آسيا يفترضان ويفرضان على الأمريكيين عدم المبالغة وعدم الإفراط في الإنغماس في براثن المواجهة العسكرية المباشرة في منطقة غرب آسيا، وبالتالي عدم الإنزلاق في غياهب الإستنزاف العسكري - الأمني والإستراتيجي، وهو يحيلنا على وضعية الإستنزاف القسري الإستراتيجية إلى جانب "إسرائيل" في مواجهة محور المقاومة على امتداد هذه المنطقة. من هنا، يمكن الدفع باتجاه تبني الفرضية العلمية والأكاديمية التي كان قد أطلقها العديد من الخبراء الأمريكيين حول حالة الولايات المتحدة الأمريكية مؤخرًا وراهنًا على أنها إمبراطورية مرهقة ومجهدة؛ وهي الملاحظة العلمية التي سوف تترسخ وتتجذر في حال ازدياد مقدار الأعباء المترتبة على احتمال اشتعال أو انفلات الأوضاع على أكثر من جبهة بالتوازي بوجه الأمريكيين، أو في حال اشتداد وطأة الضغوط الناجمة عن مجرد احتمال تصاعد التوتر وتفاقم التصعيد على كاهل الأميركيين؛ مما يعني بالنتيجة والمحصلة فقدان واشنطن بصورة تدريجية، وليس على الفور، مقدارًا ما من المقدرة التي سوف تعوزها للمحافظة على وضعية التوازن الإستراتيجي، وربما الإنتقال من خانة الهجوم في حيز التدخل الإيجابي إلى خانة الدفاع في حيز التدخل السلبي في حال تعاضد وتكامل القوى المناوئة والمناهضة لها على الجبهات كافة.

خامسًا: أثر الحرب على المناخ السياسي والمزاج الشعبي لدى الرأي العام في المنطقة

أماطت هذه الحرب اللثام عن الحقيقة بطريقة فاضحة وصارخة، بل مدوية. مع ذلك، يمكننا رصد التفاوت والتباين في التقديرات والتوقعات، كما في الإتجاهات والتطلعات والتفضيلات، لدى الرأي العام العالمي بصورة عامة، ولدى الرأي العام الغربي، الأمريكي والأوروبي على حد سواء، بصورة خاصة، لاعتبارات عدة، تتعلق بمجموعة من المؤثرات والعوامل المؤثرة والضغوط والقيود، بما في ذلك حملة الأكاذيب والأضاليل والأباطيل بقصد التضليل للناس والتشويه للواقع والحقيقة عبر الترويج الإعلامي والتسويق السياسي والدعاية السياسية من قبل الإعلام الغربي والإعلام العالمي والعربي الموالي للغرب. لقد تصدرت هذه الحرب المشهد السياسي والخطاب الإعلامي، وعادت القضية الفلسطينية إلى الواجهة، بأبعادها الثلاثة: معاناة الشعب الفلسطيني الإنسانية والأخلاقية (1)، حق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير (2)، وحق الشعب الفلسطيني بالمقاومة المشروعة ضد الإحتلال والعدوان أيضًا (3)، لكونها وبوصفها - أي القضية الفلسطينية - قضية رأي عام بامتياز ومن الدرجة الأولى. ويبقى الأثر الأكبر والأبعد والأعمق لهذه الحرب،

من زاوية المراقبة العلمية، على المناخ السياسي والمزاج الشعبي لدى الرأي العام العربي والإسلامي ولدى الشعوب العربية والإسلامية كافة، بالنظر إلى مقدار التفاعل الإيجابي، الواسع والعارم، مع هذا الحدث وهذه القضية، في إشارة إلى مشهدية التظاهرات والإعتصامات والتحركات الشعبية، الإحتجاجية ضد "إسرائيل" من جهة، والتضامنية مع فلسطين المحتلة من جهة أخرى، سواء كان على امتداد العالمين العربي والإسلامي بشكل خاص، أو كان في مختلف أنحاء وأرجاء العالم بأسره بشكل عام، بما فيه مجمل العالم الغربي. فقد أعادت هذه المحطة التاريخية توجيه وتشكيل الوعي السياسي من جديد لدى الكثيرين من الناس، ولفت انتباههم وتنبههم وإثارة اهتمامهم وحسهم على المتابعة حيال هذه القضية، بمستوياتها الوطنية والقومية العربية والدينية (الإسلامية - المسيحية) والإقليمية والأممية والعالمية، عبر إنعاش الذاكرة التاريخية وإحيائها واستنهاض التعاطف والتضامن والتأييد والدعم، وإن كانت هذه الحرب وصمة عار على جبين الإنسانية وفي سجل ما يُسمى بالضمير العالمي. ويبقى الأثر السلبي لهذه الحرب على صورتي أمريكا و"إسرائيل"، كما الموقف السلبي إتجاه أمريكا و"إسرائيل"، وبالتالي وبالتبعية تنامي شعور الكراهية وحالة العداء ضد أمريكا و"إسرائيل" في العديد من الأوساط الشعبية في العديد من البلدان العربية والإسلامية في منطقة غرب آسيا، ولا سيما في منطقة المشرق العربي أولًا، وربما أيضًا منطقة المغرب العربي ثانيًا، بالمقارنة مع منطقة الخليج العربي ثالثًا. هذه الملاحظة العلمية لا يمكن التخفيف أو التقليل منها، ولا حتى تجاهلها والتغافل عنها، وإنما يجب التأمل والتفكر فيها والبناء والتأسيس عليها أيضًا. إن من شأن هذه الحرب أن تودي بشيء ما من الرتابة النمطية في الصورة السابقة لها والمشهد السابق لها، وأن تؤدي إلى تراجع وانخفاض منسوب المقبولية العامة، ولا سيما بين العرب والمسلمين، إتجاه السياسات والتوجهات والمبادرات والتصرفات والخطوات والأعمال والأفعال الأمريكية والإسرائيلية؛ ومن ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، تقويض إمكانية واحتمالية التطبيع، بمعنى تراجع وانخفاض مستوى أو درجة قبوله وتقبله، أقله على الصعيد الشعبي بالذات وبالتحديد، وفي أوساط عامة الناس، كما بين النخب المثقفة، المتحررة والمستنيرة، في حين أن الإستمرار بممارسة النفوذ السياسي أو الإحتفاظ بالقدرة على إحداث التأثير المعنوي، عبر مجموع الوكلاء من جماعات المنظمات غير الحكومية وهيئات المجتمع المدني ومؤسسات المجتمع الدولي، تبقى قائمة من الناحية النظرية، وممكنة من الناحية التنفيذية والتطبيقية حتى، ذلك أنها غالبًا ما تقع في خانة الشبكات المركبة والمصطنعة من المصالح الزبائنية - المركنتيلية، التي تستهدف بيئات أو شرائح اجتماعية معينة وفئات عمرية محددة بطريقة منهجية، منظمة ومنسقة، والتي قد لا تتأثر كثيرًا، أو هي تبدو الأقل تأثرًا إلى حد ما، بالمعايير والمبادئ والقواعد والحسابات والإعتبارات القانونية والحقوقية والقيمية والإنسانية والأخلاقية والدينية.

سادسًا: تقدير التهديدات أو المخاطر المتوقعة بالنسبة للأمريكيين في حال فشل الحرب

يكمن فشل هذه الحرب في إفشال أهداف مخططات العدوان الأمريكي - الإسرائيلي، والتي تتمثل في مخطط اجتثاث المقاومة الفلسطينية من القطاع والقضاء عليها أولًا، وهو الأمر الذي يبدو صعبًا ومكلفًا بطبيعة الحال، مفصليًّا بميزان حسابات الأرباح والخسائر لدى كلا المحورين من كلا الجانبين، وربما يكون مداه الزمني طويلًا، وقد يكون أيضًا احتمالًا مستحيلًا، ومخطط التطهير العرقي عبر التهجير الجماعي للفلسطينيين من القطاع ثانيًا، وهو المخطط الذي لا يقل خطورة عن المخطط الذي سبقه أعلاه، وقد يصعب ويستحيل تنفيذه وتطبيقه في الميدان وعلى الأرض، مهما بلغت الأعباء والأثمان والتكاليف والخسائر والأضرار والتضحيات، مع العلم إنه يشكل جريمة موصوفة في

القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني. على أية حال، فشل الأمريكيين في هذه الحرب، وليس الإسرائيليين وحدهم، وهو احتمال غير مستبعد، بل مُرجَّح، يعني بالتبعية تقدم محور المقاومة في المنطقة، في مقابل تراجع المحور الأمريكي - الإسرائيلي في المنطقة أيضًا، أو لنقل بشكل أدق انتكاسة المحور الأمريكي - الإسرائيلي في المنطقة، بمعنى انكساره، ولا نقول خسارته بالكامل وهزيمته النهائية بعد. وقد يكون من المفيد، بل من المهم والضروري، التنويه في هذا السياق بأن التهديد العسكري - الأمني من قبل محور المقاومة، لا سيما المقاومة الفلسطينية على خط الجبة الجنوبية والمقاومة اللبنانية على خط الجبهة الشمالية كما بقية حلقات سلسلة محور المقاومة، بات يتجاوز ويتخطى حدود التهديد الإستراتيجي للكيان الإسرائيلي، على أهميته وخطورته، ويرقى إلى خانة ومرتبة التهديد الوجودي للكيان الإسرائيلي. وهي الملاحظة العلمية التي تفرض نفسها على الجميع من كلا المحورين ومن كلا الجانبين. وعليه، يمكن الدفع أيضًا بالملاحظة العلمية التي تتبع، عطفًا على الملاحظة العلمية التي تتقدم وربطًا بها، حيث أن استهداف الكيان الإسرائيلي قد يمتد بالتبعية لاستهداف مجموعة أو سلسلة من الأهداف والمصالح والمراكز والقواعد الأمريكية في المنطقة بطريقة أو بأخرى، وهو الأمر الذي نرصد إرهاصاته في الوقت الحالي ضمن إطار نظرية وحدة الساحات (المتشابكة والمتضامنة)، وليس فرضية وحدة الساحات، بعد تجربتها وتحققها وثبوتها بلغة المنهجية العلمية، على طريق فرضية وحدة الجبهات (المشتبكة والمشتعلة) في وقت لاحق أو في ما بعد.

سابعًا: تقدير المترتبات المتأتية من التهديدات أو المخاطر المتوقعة بالنسبة للأمريكيين

في الشق الداخلي الإسرائيلي، على المستويين السياسي والعسكري، وهو لا ينفصل بطبيعة الحال عن الحسابات والتقديرات والترتيبات الخارجية، السياسية والإستراتيجية، للمصالح الإقليمية للولايات المتحدة الأمريكية، ومصالحها الجيوسياسية والجيواستراتيجية أيضًا، من الطبيعي ومن البديهي أن نلحظ، في مطلع الإحاطة بما سوف يترتب على التهديدات أو المخاطر الملحوظة والمدونة آنفًا، أن الإطاحة السياسية برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو، وبالتالي سقوطه السياسي، من بوابة المساءلة والمحاسبة والمحاكمة القضائية في أكثر من قضية أو ملف، ولا سيما هذه الحرب، هو أمر لا مفر منه، وسوف تكر السبحة لتطال رؤوس العديد من السياسيين والعسكريين من جنرالات الحرب. هذه النقطة التي تتعلق بمصير بنيامين نتانياهو الشخصي ومستقبله السياسي قد لا تزعج ولا تقلق الإدارة الأمريكية الحالية للرئيس جوزيف بايدن، بالنظر إلى خلفية العلاقة بين الرجلين والتجربة السابقة ذات الصلة، ولكنها تعيد إحياء النقاش حول أفق الأزمة السياسي الداخلية في الكيان الإسرائيلي والدوامة التي يتخبط فيها، وهي مرشحة لأن تتصاعد وتتفاقم بعد هذا الفشل الذريع في هذه الحرب، وهو الإفتراض المرجح كما أسلفنا. ويبقى السؤال هنا ليس حول ماهية وهوية شخصية الوريث السياسي لبنيامين نتانياهو في "إسرائيل"، بل وضعية الشريك الإسرائيلي الجديد في "تل أبيب" للرئيس الأمريكي في واشنطن، أيًّا يكن هذا الأخير، وللولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة والإقليم؟ يُضاف إلى ذلك، في معرض الخوض بما سوف يترتب على التهديدات أو المخاطر الملحوظة والمدونة آنفًا، وهذا بميزان التفكير الإستراتيجي، بأن العد العكسي لفرضية/نظرية زوال أو إزالة "إسرائيل" من الوجود ربما يكون قد بدأ، وبأن هذه الفرضية العلمية هي واقعية ومنطقية، وتبدو جدية وقريبة غير بعيدة المنال، ومرشحة لأن ترتقي إلى خانة ومرتبة النظرية العلمية! حتى ذلك الحين، قد ينجم عن التهديدات والمخاطر أيضًا استشعار الأنظمة الحاكمة والحكومات والحكام في العديد من البلدان العربية والإسلامية، ولا سيما تلك الطغمة أو الحفنة من الخونة والعملاء، الخونة للأوطان والأمة والقضية والعملاء للعدو، المزيد من الضغط الشعبي والميداني والأمني، وربما قد يرتفع منسوبه إلى حد الشعور بوجود التهديد الجدي والخطر الواقعي والحقيقي، وذلك بحسب مدى إمكانية استعادة زمام المبادرة من قبل الرأي العام العربي والإسلامي والشعوب العربية والإسلامية أولًا، بمعنى القدرة على

ممارسة مثل هذا الضغط، ومدى إمكانية استنهاض الحالة الصحية أو الإيجابية ونفض الغبار عنها ثانيًا، بمعنى استنهاض الحالة الوطنية والقومية العربية والإسلامية وتأكيد الثوابت الوطنية والقومية العربية والإسلامية. قد يحصل وقد يجري كل ذلك، وقد يقع بين المترتبات المتأتية من التهديدات أو المخاطر المتوقعة من قبل الأمريكيين، وبالنسبة إليهم، عندما يقود الفشل أو الإخفاق الذريع في الحرب، من قبل الأمريكيين، ومعهم أيضًا الإسرائيليين، إلى تقدم وصعود الخيارات والرهانات والمسارات التي يطلقها ويرفعها محور المقاومة، وهو يعبر عنها وينادي بها ويناضل لأجلها.

ثامنًا: ترتيب الأولويات بحسب الإحتياجات بالنسبة للأمريكيين في المنطقة بعد الحرب

ثمة احتياجات أساسية وضرورية، قد أفرزتها هذه الحرب، أو إنها كشفتها، وهي ربما كانت قبلها موجودة، ولكنها كانت مستترة أو غير معروفة من قبل الأمريكيين، ولا بد من التعامل والتعاطي معها بجدية، في محاولة لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ولإعادة ترميم الوضع الذي كان قائمًا في السابق وفي الماضي قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023. وهي تتمثل وتتجسد في مجموعة أو سلسلة من الأولويات التي تشكلت، أو هي قيد التشكل والتشكيل، في العقل المدبر لصناع القرارات السياسية والعسكرية والأمنية والإستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية، بصرف النظر عما إذا كانت مثل هذه المحاولة أو المحاولات المتكررة والمتواصلة ممكنة وقابلة للتنفيذ والتطبيق أو التحقيق بكاملها. مما شك لا شك فيه أن الكيان الإسرائيلي قد فقد وظيفته أو دوره الوظيفي منذ مدة، ولكن حماية الكيان الإسرائيلي، بمعنى أمن "إسرائيل"، بل وجود "إسرائيل"، وهو بالتأكيد أولوية لا نقاش فيها على أجندة الولايات المتحدة الأمريكية وضمن استراتيجيتها اتجاه المنطقة، يُفترَض أنها سوف تُلقي بالمزيد من الأعباء على واشنطن، نظرًا للعلاقة العضوية الوثيقة واللصيقة بينها وبين "تل أبيب"، وذلك بعد فشل، أو بالحد الأدنى تعثر، المخططات والمبادرات والمشاريع والبرامج والخطوات السابقة بشأن مسألة التزام وتعهد أمريكا حماية أمن ووجود "إسرائيل" تاريخيًّا واستراتيجيًّا. وترتبط بما تقدم أولوية العمل على استعادة الهيبة والقدرة على الردع الإستراتيجي، ومن ضمنها إعادة بناء التوازن الإستراتيجي في نصابه السابق، ولا نقول نصابه الطبيعي ولا الصحيح، مع الإشارة إلى أن تحقيق مثل هذه الأهداف في المستقبل يبدو مسألة صعبة المنال، ولكنها ليست مستحيلة، ودونها الكثير من الصعوبات والتعقيدات، وهي غير أكيدة وغير مضمونة النتائج، ناهيك عن صعوبة، بل استحالة، إستعادة القدرة على الحسم السريع من قبل كل من أمريكا و"إسرائيل"، بعد أن ثبتت صحة فرضية فشل وعجز وشلل التفوق العسكري والأمني والإستخباري والتكنولوجي في مواجهة استراتيجيات وتكتيكات المقاومة في الحروب الهجينة، غير المتكافئة وغير المتوازنة وغير المتناسبة. كذلك، فإن العمل على كبح أو لجم اندفاعة محور المقاومة إلى الأمام وصعوده وتقدمه، وليس تفوقه، هو أولوية ملحة، قد تشبه، من حيث النتائج المحققة والمتحققة، أو الممكن تحقيقها فعليًّا وعمليًّا، أو القابلة للتحقيق مبدئيًّا ونظريًّا، إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في تطويق، ومن ثم احتواء، ظاهرة الصعود الصيني، حيث باءت التجربة الثانية أو الأخيرة بالفشل، وقد يكون مصير التجربة الأولى مشابهًا ومماثلًا، مع الفوارق والإختلافات في الحيثيات والسياقات والأحجام والأوزان والأدوار. ويبقى السؤال: هل تعمد الولايات المتحدة الأمريكية حيال محور المقاومة إلى سلوك خيار إطالة أمد المواجهة على شاكلة الحساب المفتوح (1)، أو إنها سوف تسلك خيار المواجهة الشاملة والحرب الكبرى في محاولة منها لوضع حد لهذه الظاهرة وهذه التجربة المتراكمة والمتزايدة والمتنامية والمتصاعدة في أسرع وقت ممكن وفي أقرب فرصة ممكنة (3)، أو إنها ربما سوف تتجه، إن

عاجلًا أم آجلًا، نحو اللجوء والركون لخيار التسوية الشاملة أو التسوية الكبرى، وربما يكون ذلك على المدى المتوسط، غير القريب وغير البعيد (3)؟ في كل الأحوال، ثمة أولوية تفرض نفسها أيضًا على الولايات المتحدة الأمريكية في تأطير أو إعادة تأطير كتلة الحلفاء والأصدقاء من جديد بعد هذه الحرب، بالنظر إلى مفاعيلها وتداعياتها السياسية والإستراتيجية والسيكولوجية. أغلب الظن والتقدير أن المنطقة بعد هذه الحرب هي في طريقها إلى مواجهة حتمية، كبرى وشاملة، بين محورين متضاربين ومتصارعين ومتناقضين، كخطين متوازيين لا يلتقيا، وربما لا يمكن أن يلتقيا، إلا في حالة سقوط إحدى حلقات سلسلة محور المقاومة لسبب أو لآخر، وبالتالي انفراط عقده، وهو احتمال مستبعد من جهة، أو في حالة استمرار التفكك الداخلي والتفكيك من الداخل للكيان الإسرائيلي وتسارع وتيرته بعد هذه الحرب في المقابل، بحيث تصبح مهمة إنقاذه أو التقاطه أو إبقائه على قيد الحياة أمرًا مستحيلًا أو شبه مستحيل، وهو احتمال قائم وارد وممكن على ما يبدو من جهة أخرى.